جمال القصاص

من أعلى بمحاذاة الموسيقى



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها . ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

◆

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

ت : ٣٤٤٨٣٦٨ ، ف : ٣١٤٨٠٤٢

جمال القصاص

من أعلى بمحاذاة الموسيقى

شعر



الكتاب : من أعلى بمحاذاة الموسيقى

الكاتب : جمال القصاص

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى : القاهرة ٢٠٠١

رقم الإيداع ٢٧٩٩ / ٣٠٠١

الترقيم الدولى I.S.B.N 977-291-209 6

لوحة الغلاف : خوان ميرو

لها بشرٌ مثل الحرير ومنطقٌ

دقيقُ الحواشي لا هُراءٌ ولا نَزْرُ

وعينان قال الله كونا فكانتا

فعولين بالألباب ما تفعلُ الخمرُ

"ذو الرمة .

كتبت هذه القصائد في الفترة من :

١٠ فبراير حتى ١٩ أغسطس ٢٠٠٠

الهواءُ باردٌ.
ليس سوى ألقنا
يستثير شهيَّةَ النادلِ المتلكِّئ

- أبي كان مأذوناً
- أبي سرقتهُ الكاميرا

في المتحف
كان علينا أن نقتربَ قليلاً
- ثلاثُ ملاعقَ من السُكر
هكذا اعتدتُ أن أقيسَ حياتي

خمسُ دقائقَ
للسيِّد «ذو الرِّمة»
لا بأسَ..
خمسُ دقائقَ
للسيِّد «ماتيسَ»
خمسُ دقائقَ
لنَسْمةٍ تتسكَّعُ في الكوب.

تشبهني الخرزة النائمة
فوق الركبة
أنظر..
هذا الفراغ المباغت
لماذا يحاصر الوردة
يكورها في شرنقة الخطوط
لا أحب ثرثرة الإزميل.

السلم الرخامي
يربك خطونا

يداك دافئتان..

لم أنم سوى ساعتين
الرجل ذو السلسلة الذهبية
تراءى لي
كان يطوق عنقي بالغصن نفسه
ويشدني في مواجهة المرآة
ثم يختفي خلف عقارب الساعة..

هل لا بد أن تنتهي أرواحنا
تحت هذه الشجرة؟!
تذكرت ابتسامتها
وهي تنزلق فوق سطح الألبوم
وصرختها الوحيدة في نهاية القصة.

هل نعاود الصعود
تعبت..
الجرافيك مزدوج وناتئ
والتواءات الشقوق تغرينا
بأن نعمق الحفر.

إفردي يديك
لأعلى
لأعلى
وابتسمي لصورة العائلة.



في الصورة: تمسكين بالطائر
جسدهُ ملتصقٌ بجسدك

من أعلى: سوف تحركين أصابعك
بارتعاشةٍ تبدو مبلولةَ للتو.

سوف نعترفُ بأن التمثالَ
لم يكنْ رمادياً كما أحببنا
وأنَّ الممرَّ لم يكنْ ضيقاً
الى هذا الحَدّ.

حيواناتُ ألفتنا ستمرقُ
في غبشِ العدسةِ..

فِي ثوانٍ: تستديرينَ
ويفرُّ الطائرُ

لن ننتظر الدليل

بعد المرآة بقليل: سيصدمنا الإيقاعُ
أمسكُ يدك..
أندسُّ في الرذاذ

لبرهةٍ: تخلعين النظارةَ
لا تلتفتي للوراءِ
قبل أن نبلغَ البابَ

في الخلفيةِ: نوافذُ تُفْتَحُ
نوافذُ تُغْلَقُ

وفي يدنا..
تطقطقُ حبّاتُ الفيشار!

شعركَ المقصوصُ للتو
سيتركني أعزلَ
فوق أرنبة الأنف
ماذا أفعلُ:
كي أعيدَهُ للغابة
كيف ألملمُهُ من الجهاتِ كلِّها
ثم أبعثرهُ
هكذا..
في قرص
الشَّمس !



«أنا هشّة»
أخشى وحدتك
لا أستطيع أن أجتازَ كلَّ هذه الصّور
من دون صرخة ضَعْف.

أحبُّ هذا اللصَّ
الذي يتسرسب بيننا
وبأناقةٍ يتسلَّقُ أذرعنا
ويضحك ..

كان بودي أن نذهبَ الى الأوبرا
فستاني الجديدُ لونُهُ أسود
يمكنَ أن تنزعَ رباطَ العُنق
حين يَخْفُتُ الضَّوءُ..
سأغيِّر تسريحةَ شَعْري
سأكتفي ببعضِ الرتوشِ تحت الحاجبين.

كان بودي
لو أننا
كنا..
كان يمكنُ.. أن
- لا تكترثْ
مجردُ فكرةٍ عبيطةٍ طرأتْ
لا شيء..
شياطينُ روحي تمارسُ طقسَها الليلي.

أنا هشَّة..
كيف أقطفُ رجفةَ المجهولِ فينا
أنزعُ عن ظهري هذه الصَّرةَ
أو أبدأُ من النقطة نفسها
مثلما قالَ «كولمبسُ» العجوز.

لا أعرفُ
دائماً يسكنني وجهك قبل النَوم
أحيانا
يخطفني من محارتي
فلا أملكُ سوى بطاقة بحجم الكفَ
أموهُ بين فراغها مازوخيتي
والسائلَ الشفيف
وأدَعي أنني عاقلةٌ جداً
وأن فوضاي مجردُ عازلٍ للحزن.

- هل يحقُ لي
أن أفتكَ بكلِ هذه الأشرعةِ
أكرهُ شروح يدي
أكره أقنعةَ اللهاثِ التي تبحثُ
عن نصف الجسدِ
نصف الروح.

المقهى ينفضُ ما تبقَّى
في جعبةِ المساء
صوتها يتململُ فوق حافة الكوب
ويطفو..
الكركديهُ مهدِّىءٌ لرفض الذات
- أعرفُ..

يـا هـ
كلُّ هذا الهواءِ في جسدينا
كل هذه الأشجار تشبهنا
أيها الوغد..
أحضني بقوة
ودعني أتنفَّسُ بعمق !

لم يرغمنا أحدٌ
كي نتشكَل مثل بيضةٍ في مقلاة.

نملك شساعة جسدينا
محبَة الرمان
شهقة الجيتار نملكُ الصوتَ الذى يستحمُ فينا
ونعرف كيف نصبَ الماءَ
كيف نشعلُ الحرب فى طبق الحساء .

ابتسمي
الموسيقى تسري
سوف أتحملُ الأخطاءَ كلَها
ليس الأمرُ بيدي
أجل.. ربما..
في الغالبِ..
أو حين نذهبُ لمكانٍ ما!

مهلا ..

لا .. ليس هكذا

يداكَ لابدَ أن تلامسا البطن :

نقطتان من الخَلَ

في أصابع الكرنب

حافظي على هشاشةِ السَّطح

أتركي فراغاً لمساقط البُهارِ

في المسافة ما بين الرأسِ

والذَيل ..

انثري حشائش الليمونِ

لا تندهشي

لو استحال اللونُ مثل زبدة الكاكاو .

لا أحبُّ مكَسَّبَاتِ الطَّعْمِ

أريدهُ طبيعياً

سيكون لذيذاً

لو خففنا الإيقاعَ

لو انتظرنا حتى يبردَ الهواءُ ..

لن تتسعَ المصفاةُ
سأبتكرُ حيلةَ أفضلَ
لا بأسَ..
«الإسباكتي» سريعةُ العدوِ
أحكمي الغطاء
البخارُ له أجنحةٌ لا تُرى.

ساقاك تلمعان
هل نبتتْ شعيراتٌ جديدة
أم هبطَ الملاكُ في غُلالة الحلم؟!

انطفأ الفَحْمُ
سنذهبُ للنومِ
السَّاعةُ تتصبَّبُ عَرَقاً
والقمرُ يتحرشُ بشراشفِ الوسادةِ

هل أعجبك الطَعَمُ
يمكننا أن نرتجل اللحنَ
أن نعيد الكرةَ بحكمة العرّاف
لن يداهمنا إلتهابُ الركبتين
أو حساسيةُ الصدرِ
سيكون الوخزُ سلساً.
كلّما ضربتنا بقرونها الشمسُ
أو تبخّرَ في يدينا الظلُّ..

سأرقبك..
وأنتِ تتقلّبين في الحوضِ
مثلَ سمكةٍ لم تبلغ سنَّ الرشد.

أنا سارق الطِّلاءِ
احذري..
سأكونُ كسولاً
وأنا أتلقفكِ من فوق سطح المرآةِ
وأهبطُ..

تمنيتُ لو أقيّد هذا المساء
لو أربطهُ في رجلِ طائرٍ لا يطير.

الحياةُ قصيرةٌ
حين تخرجُ من أصابع الليل
أو حين تتعثرُ فوق سلم الأشجار.

ماذا سيبقى لي:
نقطةٌ في سقف هذا البياض
رائحةٌ تتطايرُ في سروالِ الهموم
مرايا تصطكُ فيها طفولتُنَا..
ماذا سيبقى لي
غيرُ هذا الوجع؟!

تأخرتُ خمس دقائقَ
لم أكنْ أزرعَ الصَّبارَ في الشرفةِ
أو أعلِّمَ الغصن حرِّيةَ الطيران
كان صوتك..
يتساقطُ في شرايينِ الماء
طارتْ الخيولُ
فوق صفحةِ الكراسِ
لمستك..
واتَّسعَ الطَّوق.

هل تغرَّبت من قبل
هل جرحتكَ الموسيقى؟!

فيما مضى
كنتُ أعرفُ كيف أنزعُ رأسي
من صوصوةِ العتبات
كيف أَعُدُّ الدَّرجَ
أتهجَّى جسدي في قشعريرةِ الرُّخام

مملكتي كانت جمرةً معلقةُ في الهواء
حاولتُ أن ألمسها
انصرفَ الجميعُ عن العزف
إلا رجلاً ظلَّ يحفرُ في الجدار
حتى انفجرَ البحرُ..

قلتُ لَهُ أيُها الشَيخُ:
خذْ برتقالةً منِّي
إستردَّ بياضَ عينيهِ
هَمْهَمَ:
طفلتي تعرفُ لغةَ الطَير.

الحياةُ غُرْبَالُ اللحظات
سأذهبُ..
وستظلُّ أنتَ تحرسُ قنينةَ الألوانِ:

الصمتَ عموديا ..

فوق صدر التكوين

والرائحةَ تحترق

فى شظايا الفراغ

نفس الكرسيَ الخيزرانيَ المدوَر

نفس النقطة الفارغة

في رمادِ الفصول.

انتصفَ الليلُ

هليوبوليس تتلوى

كحكايةٍ مبنيَةٍ للمجهول

وأناملك النحيلةُ في «الفيشِ»

تذكَرني بضميرِ الغائب.

تلك هي الحياةَ

ليس لديَ قرارٌ

أو جواب..

لكنني سوف انتظرك.. هنا

بشعري المجعَد

بطائراتي الورقَية

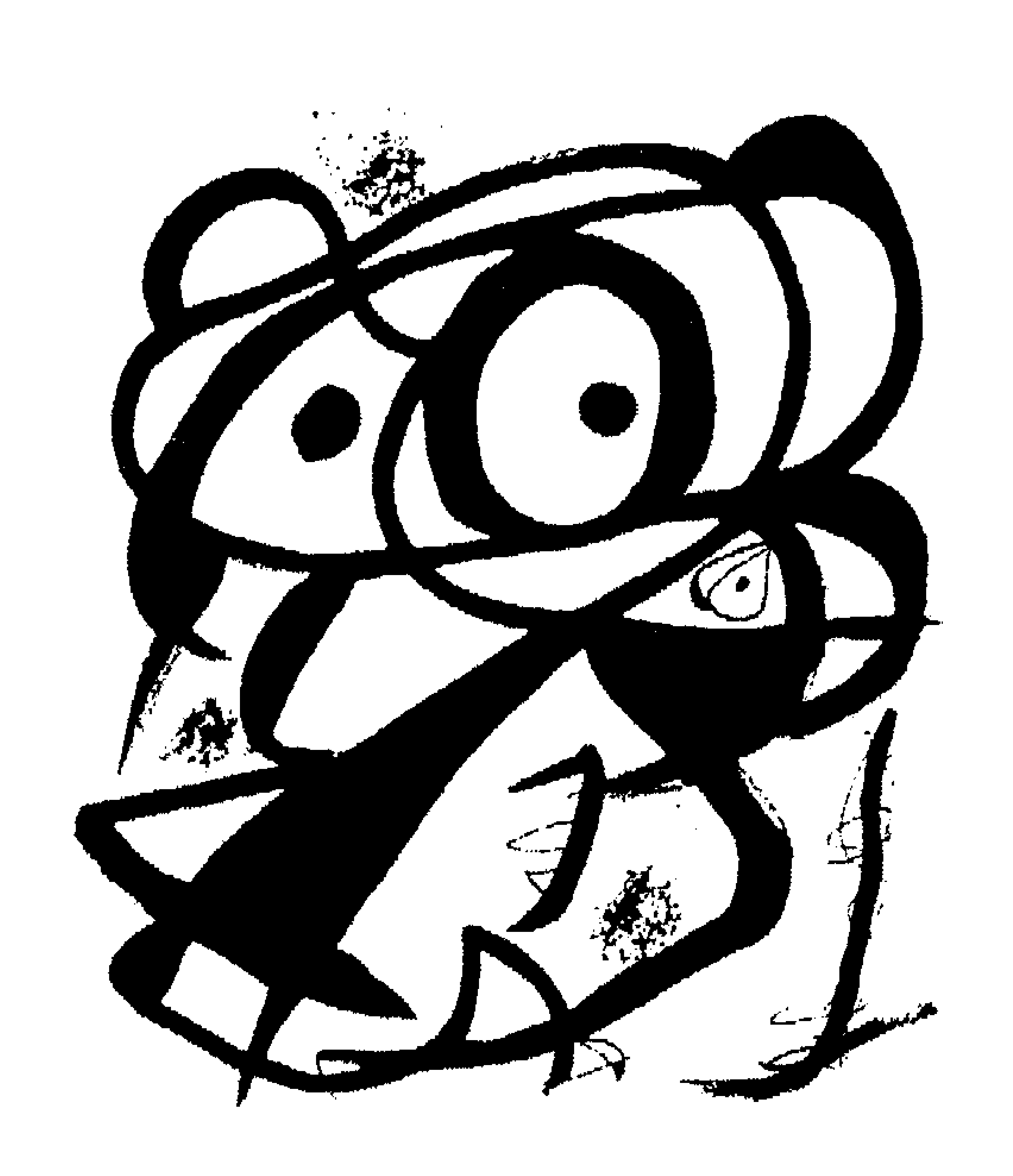
بأحرفي المفروطة من تلقاء نفسها

ربما..

تكبرُ الحياةُ في أصابع الليل

أو نلمسْ أذرعَنا..

ونحن نكسرُ فضاءَ العدسة.



يا لصَّة الموسيقى
أنا كسبتُ الرِّهان
يكفيك قماشةُ الكون
ومجدافُ القصيدة !



في الطائرة
حين تروحين في النوم
كيف يبدو وجهك..؟!

أنا الأعزل فوق أرنبة الأنف
مازلت أتنفس توترك، مساحات
الفراغ في صوتك، الكون وهو ينعقد
مثل حبة التوت فوق ثغرك، بساطتك
التي تذكرني بوحشية الدراما.

كم عاصفة أخرى
سوف تهب في الكوب
كي نخرج من إطارنا المُهمل؟!
رائحةُ البنّ حارةٌ
هنا.. ولد إلهنا البدائيَ
هنا.. سحبناهُ من قرنيه
لم نكن في مدار الجدي
كنا نضحكُ..
وهو يلملمُ ذيلَهُ منكمشاً تحت الغطاء
مثل كاهنٍ عجوز.

هل كان علينا
أن نطعمَهُ كلَّ حبّاتِ الفيشار
كي نبدو أسوياء - على الأقل - أمام
أنفسنا.

هل صحوتِ
في الحلم
صرت أخافُ من جسدي
أخشى أن يسجنني
أو يتحولَ الى قفصٍ لايُرى.

هل ستكتبُ لي
أكتب لي سريعاً
أكتب لي كلَّ يوم

أنا طفلتكَ الهشَّةُ
لا أريدُ أن أكونَ قربانَ نفسي
أو أمشي مثلَ فاصلةٍ منقوطةٍ فوق كتفِ النهار

هل طارت السَّحابةُ الحمراءُ
عيني مرهقةٌ.

أبي اختصرَ كلَّ هذا اللهاث
رمقني بالأمسِ كصائدٍ محنَّك
بصعوبةٍ شديدةٍ
قلتُ لهُ..
لم أكنْ أقصدَ أن أؤوِّل ربكتي
لكنَّهُ لفَّ الحديقةَ حول خصري
وابتسم.

خمِّنْ ماذا سأُخْرِجُ من الحقيبةِ
: أصبعَ الروجِ، قنينةَ العطرِ
عُلبةَ اللّبان، ثعلبَ السحابةِ
التي في المرآة..

خمِّنْ..
لا شيءَ
فقط سأُخْرِجُ يدي!

ضحتك ترنُّ مثل نأمة الفرشاة
في البؤرة صورة عمتك الكريمة
تتراءى مثل رأس دبوس فوق
حافة السرير
على جانبي التكوين
ظلّك الممدود يترجرج . .
– هل كانت طويلةً الى هذا الحد
هل فقست بيضة الوراثة ؟ !

أكمل . .
صمتك القروي يحيرني
أكمل . .

سأكتبُ لك
لن أخشى شيئاً
سنكونُ الأجمل

باي . .
تصبحين على خير .

في الفيلم . .
أصابعنا نكّاشةُ الأسنان
لقّاطةُ الحصى .

يمكن أن تطير
يمكن أن تمشّط لحيةَ الأجراس
أو تهديَ رتم «التيتتر» .

أصابعنا التي تختفي فجأةً
لماذا تعودُ مبللةً وأليفة
لماذا نوّد أن نقضمها
مثل حبَّة المانجو
أو إصبع الموز .
لماذا تغيَّر لونُها
واشرأبتْ كأعوادِ الصبَّار
وانتفختْ مثل دودةِ القزّ .

أصابعنا التي لا نراها
بعدما ينتحرُ البطلُ..
في المشهد الأخير
هل سنتركها
هكذا..
في داخل الكادر!؟

كلَّ يوم
تحلمُ بكِ القصيدة
فبماذا
أحلمُ
أنا ؟!



هل دائماً..
تتأخر الحرّيةُ في مكاتب البريد
ضغطي مرتفعٌ
وصوتك يئنّ في صدري
والسيّدُ «ذو الرمّة» يتلمظُ فوق الرّف
قلتُ لهُ: أرحْ ناقتكَ العرجاءَ
وعكازكَ المخبول
لكنه يرفُّ في بياض الورقةِ
ويحتدُّ ساخراً:
«ما بالُ عينُكَ منها الماءُ ينسكبُ»
أفكّرُ أن أودعَهُ مصحةً للخيالِ
أو أعيرَهُ لأحد الأصدقاءِ
أو أتركَهُ يبقبقُ في المِقلاة.

لا تنزعجي
سأتصرفُ كما يقتضي الرِّهان
هذا اذا افترضنا
أنني مازلتُ في كامل قواي العقليَّة
أو أن يدي التي مسَّتها لوثةُ الكادر
هي يدي نفسُها التي تعبثُ الآن.

ماذا أفعلُ
هل كان ضرورياً أن نفتحَ الصندوقَ
أن ننظف عرينَا من ركاكةِ المرآة!

أشكُّ في هواء الغرفة
في شركة الطيران
في حقائبِ السفر
في بداهةِ الينسون
أشكُّ في يدي

هل دائماً تتأخَرُ الحريَةُ . . هكذا
هل دائماً هذا العطش .
الصباحُ . .
ووجهكِ ينداحُ في خروشة الأوراق

سأشتري قميصاً جديداً
وفرَاكةً للألوان
سأجلسُ في نفس المقهى
وأحيي ماسحَ الأحذيةِ
لن أذهبَ الى المتحف
سأنسى أن سكري خفيفٌ جداً
لكنني من المؤكدِ
سأخونك عند أول بائعِ فيشار
وأضحكُ . .
وهو يتسرسبُ فوق أوجه المارةِ
وهو يَعْلَقُ بمؤخراتِ العشاق .

هل أعـددت الشـاي، كم فنجـانـاً كـســرت، هل ذهبت الى الأوبرا، أَمــازال لونُ الفســتــان أســودَ، وشَـعْــرك.. هل طالَ للتــو، أمــازالتْ الأرنبــةُ تــســبحُ فــوق الأنف، هل عــاودك ألـمُ الظَّهــرِ، أَغــيــرت إطار النَّظارة، كــيـف أخـبــارُ الموتى في القــبــو، هـل دقَّ الجــرسُ بعنف، هل ودعتِ دولوزَ، أكان مخلصاً لخطيئته..

احذري..
اللَّبان ضارٌ بالفكِ السُّفلىَ
لكن لا بأسَ..
إرفعي الخُصْلَةَ قليلاً
ولا تنسي إصبعي
قبلَ أن يغلبكِ النَّوم

أنت أمام المرآة
مغمورةً بمحبةِ جسدك
وتندهشين: كيف لم يعدْ مؤهلا
لخبطة القديس
أو كيفَ أصبحتْ دكنةُ الذراعِ
أكثرَ ألفةً من نصاعة الفخذ.

الشَمسُ الخبيثةُ
ليست عادلةً في توزيع الظلال
أو تفتيتِ أقراصِ الشَمع.

أرفعُ كُلْفةَ التناصِ
وأعرجُ فوق سطحِ الألبوم
لسانك ملتهبٌ
وإصبعكِ المبلولُ
ببطء.. يتلكَأُ بين شفتيك
تماماً.. كممثلاتِ أولِ القرن.

لابد أن ثمةَ طريقةً أخرى
حتى لايقعَ الكلبُ في الحفرةِ
سوف نبتعدُ قليلاً
ربما يتقمَصُ ظلَّهُ في الإطار
أو تأخذنا نشوةُ الإيقاعِ
فنقدمَ لَهُ كوباً من اللبنِ الساخنِ
نملَسُ أذنيهِ وشَارِبَهُ
ثم ندعي أننا دون قصدٍ تركناهُ
عشرين عاماً..
يتشرَبُ وهنَ الأريكةِ
ويلهو فوق السَطحِ.

الكلبُ شُرَابةُ الألبوم
كيف نبتتْ له كلُّ هذه الأجنحة
كيف ارتغى في الإناءِ
انتحلَ وبَرَ السرطانَ
واختطفَ القوس.؟!

هل يمكنُ أن نعلِّمَهُ
كيف يعدُّ الشايَ
كيف يذهبُ الى المتحف
كيف يفكُّ الشَّفرة.

خانني التناصُ
أمازلت أمام المرآة
الحياةُ قصيرةٌ في ردهة الجينز
لكن يسَهُلَ أن نشبكها في عروة الكفَ
أو ندسها في فتحة السوتيان
أو نتركها تعوي فوق الرصيف

اتركي البقعةَ كما هي
في طرف القميص
سوف يبيَضُ لونُهَا
وتنمحي
في لطشة الأورجازم.



«الحرارة خمسون بعدَ الظِّل»
لو أتيتِ في الثامنة
كنتُ سأقرأُ لك قصيدتي الجديدة
أعطيكِ مكعبَ اللّبان
ومَكْحلَةَ الشَّمس.

كنتُ سأفرحُ بقلبي الصغير
وهو يربكني عن طيب خاطر
ويشكُّني في بياض النُّعاسِ
فأصحو.. على حبو صوتكِ
أوسِّعُ الفضاءَ..
وأمزِّقُ جوربَ الشطوط.

لو أتيتِ في الثامنة
كنتُ سأحكي لك نكتتينِ
عن البرتقالةِ التي دسَّتْ أنفهَا
في أذن الحديقة..
والنَّملةِ التي صَرَعَتْ الفيلَ
فوق الجسر.

لو أتيت في الثامنة

كان يمكن أن أتحمل هذا المساء

نذوبهُ في الكوب

أو في مروحة الثلجِ

أو مضخة الرزازِ

أو نتركهُ يقفقفُ تحت الدُّش.

لو أتيتِ في الثامنة

تعالي..

في الثامنةِ

في الرابعةِ

في العاشرةِ

في الواحدةِ

تعالي.. إذن

في كل الأحوالِ..

سيلدغني عقربُ الوقت!

هل قابلتَ فتاةً هنا
بيدها سلَّةٌ جَمعَتْ فيها كلَّ أيامِ الرَّب
هل أومأتْ برأسها الصغير
هل قالت : هذه الصخرةُ تشبهني ؟ !

الهامشُ ضيِّقٌ قليلاً من أسفل
أتركُ فراشةً كي تتنفَّسَ يدي

بعدَ دقيقةٍ . .
سيمرُ البستانيَ
من أصابع «الماريونيت»
بعدَ دقيقةٍ . .
سينفرط العنقود

أنا العطشُ المتسربُ من عتبة النَّوم
أيامي نَيئةٌ . .
لا أريدُ صراعاً واضحاً
لا أريدُ كلَّ هذه الطيور
تحوِّمُ حول ظلِّي

سأقبعُ في ركن ذاكرتي
أرقبُ كينونتي
وهي تُربِكُ خططَ المرايا
وتتخفَّى في دانتيلا العُرس.

لكنني..
ولأسبابٍ لا أعرفها
سأرتضي أن يطيرَ القناعُ
ربما.. قبل النهاية بقليل
أو لأن آليةَ الحلمِ سوف تصطدمُ
بعقدة الجوقة..
أو أنني سوف أسكبُ العطرَ نفسَهُ
فوق البساط.

أهكذا دائماً
تصحو الأشياءُ
حين أفقدُ لهفةَ التصويب !

هذه الألواحُ الخشبيَةُ
أذكرُ..
كم كانت عاطفيةً جداً
وهي تبسطُ أذرعها
وتصغى.. لتلصصي الليلي

أنا يمامةُ البيت
وسِّعوا حفائرَ الشمس
اتركوا فرْجةً صغيرةً في الشبّاك
لا تأكلوا فطيرة العناب كلَّها

من هنا..
يمكنني أن ألهو بزوارق السّفوح

العادلون لن يلتفتوا
لحكمة الخطأ الصغير
دائماً سيُحْكمون الرِّباطَ
من أجل أناقة الصمت .

أسحبُ وجهي من غبار التراجم
الرائحةُ.. الرائحةُ
عصبي العاري
فوضاي.. أنثى طفولتي
حنطتي التي لم أحصّدها بعد
الرائحة..
ستسري من نقطةٍ في أعلى السَّقف

من بين كلِّ الأفاريز والخطوط والدوائر
سأبتدعُ مداراً وهمياً لجنوني

المشهد ينفتحُ ببطءٍ
على نكهةٍ حريفةٍ وغريبة
خالتي لاتنتهي جملتُها الاعتراضيَّةُ أبداً
بلا كللٍ..
تتابعُ السؤالَ
والجارةُ المسكينةُ فَشَلَتْ
في تضميد الجرح
العالم مختنقٌ في فوَّهة الفنجان
وعيني تتسلَّق طبقَ السَّجق

في الحقيقة
في الواقع
بلا شك..

أبتسمُ
وأكررُ الإيماءة
- إهدئي يا مضروبة
وأنا أنفجرُ في الضحك

لن أبرئ لصَ الموسيقى
سأتركهُ فوق سطح الألبوم
ربما.. أنظرُ إليه برفقٍ
وهو يتمددُ في خزانة الخرائط
متشحاً بعباءة اللغز
ربما أقبلهُ قبلتين..
وأقولُ لهُ:
رغمَ كلِّ شيء أحسنتَ العزف .

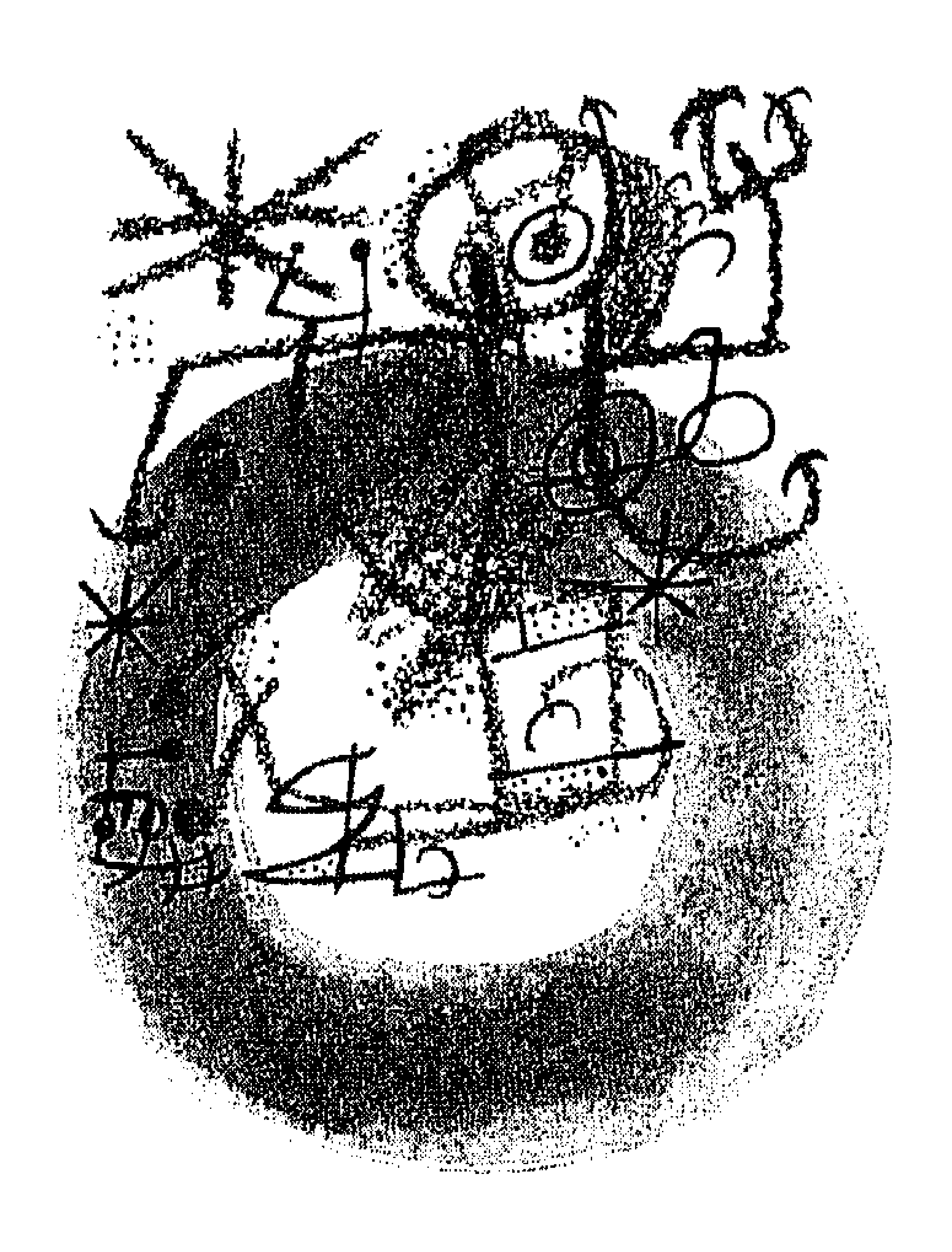
كَبُرَ البنطالُ
واتسعَ قوسُ الصَّدر
عشرُ سنواتٍ.. وأنا أبحثُ
عن هذا البندول

هل العالمُ يمضي كما أحبَ
هل خانتني شجاعتي..
فوق تلَّة الأمواجِ؟!

هليوبوليس تتداعى كعنقودٍ
من مطرٍ آسن
أَحْضِنُ خسارتي وبهائي
ظهيرةٌ من يونيو
ونجمة تذوي في تميمة المواريث
حصانٌ يَخُبُّ في مَلاءة الشاطئ

الزُّرقةُ طاغيةٌ
تخفقُ كلهبِ حَرُون
وعصارتي تتبخَّرُ فوق الطاولةِ..

لابدَّ أن ثمة رذاذاً آخرَ
قادرٌ على التحليق
لابدَّ أن أعود !



من يومها وهو يكتب :

ذهبَ جمالُ القصاص الى السوق

لم يجدْ سوقاً

ذهب جمال القصاص الى البحر

لم يجدْ بحراً

ذهب جمال القصاص الى الجبل

لم يجدْ جبلاً

ذهب جمال القصاص الى القصيدة

لم يجدْ السَّحابة .

أين إذن يذهب جمال القصاص ؟ !

تينةٌ مجفَفةٌ في الطَبق
ذراتُ غبارٍ..
تتسكَعُ فوق رقعة شطرنج
شرائحُ أربطةٍ مبلولةٍ برائحةٍ نفَاذة
بقايا حليبٍ متخثَرٍ في الكوبِ
مطلعُ قصيدةٍ يبدأُ.. هكذا:
دائماً تُخلِطُ الخيطَ
ابتعدْ.. قليلاً
ليس بأصابعكَ كلِّها.

حوضَ الزهر في مكانه المعتاد
و«البورتريهُ» المجنَحُ لايكفً عن الثرثرةِ..
ليس من عاداته أن يحتسي هذا الصِّنف
أو يقرأ هذه الصحيفة.

في الدولاب:
عثروا على أغنيةٍ لبحارٍ عجوز
ومناديلَ مطرَّزةٍ بحرفٍ يتكرَّر.

انتبهَ للطائر المحبوسِ في غبشة الكادر
لملمَ الأوراقَ من جديدٍ
وأعاد ترتيب الحكاية:
لصَّة الموسيقى مشغولةٌ
بضبط إيقاعِ العربة الطائشةِ
الرِّهانُ انفرطَ في فورة المجدافِ
طفلٌ يعضُّ أصابعَ البيانو
بدهاءٍ..
يطردُ الأشباحَ
من طبق الحساء
ويُشَخْلِلُ في قفص الذكرى

- : أَقلتُ كلاماً عن الحب

ابتسم

وهو يتمتمُ..

كنتُ صغيراً..

لم ينجلِ عشبُ يديَّ

كَبرُ الضوءُ في كفٍّ الشقوق

صعدتُ.. خطوةً

أو خطوتين

لم يكنْ قصدي أن أَجْرَحَ الإناءَ

حاولتُ أن أكشطَ العتمةَ

من قبل أن يرتجلَ الصمتُ

أمثولةَ النِّهاية.

لن تراني غداً

سأختفي يومين

لكن.. ربَّما..

تخدعني عصفورتي

فأُلَقِّطَ الوميضَ

وأحوِّمُ..

كان مساءً جميلاً
الحياة في كرسيِّها الهزّاز
تلوِّنُ أظافرها
وتتهيَّأُ للنعاس

- ما الذي يضحكك..

السَّلةُ فارغةٌ
قَرْنُ فلفلٍ..
طارَ في اللوحةِ
فجَّرَ كلَّ هذه الموسيقى!

مصفِّفُ الشَّعرِ لم يكنْ رفيقاً بالأرنبةِ
والأحمرُ الداكنُ كسرَ أُبَّهَةَ الوصف.

نحن يرقةُ الصَّدفةِ العمياء
سأفاجئكَ دوماً
من دَغَلِ النَّص
مصباحي الصغيرُ نبتتْ له أشرعةٌ بيضاء
أحبُّ طفلتكَ الهشَّةَ
ومصحَّةَ الخيالِ
والشمسَ التي تتسحَّبُ تحت سلالمِ النهدين

ماذا لو طوَّحنا الأيقونةَ..
القديسُ لن يكترثَ بخرافة التَّرتيل
وتَبْغُ الخرائط مغشوشٌ
برتقالةٌ شريدةٌ لن تفسدَ فصاحةَ الأرغول.

سأشتري مِقْلاعاً
وأطابق وجهي بوجوه الفيوم
من باب الفضول
يمكنكَ أن تتلصَّصَ على النخلة
وهي تسبحُ في ملوحة القناع.

يقولون: هنا كان يجلسُ جمالُ القصاص
اختطفَ العالمَ في شهقة المانجو
واختفى.

أجهدتني الغزالةُ..
وزني نقصَ خمسَ قصائدَ
في «الكريم كراميل»..
يغلظُ قوامُ السَّرد.

بيننا .. ما بيننا

انتبهي ..
سيخرجُ الثّعبانُ من تحت المنفضة
سيكون أليفاً
حين يتقلّبُ في نعومة السَّريرِ
أو يتفيَّأُ شجيرةَ البانيو

هل فعلتَ ذلك كثيراً
أيها القرويَّ المخفوقُ بلَوْعَةِ الأرابيسك .

لم يستوِ خَجَلُ الشمعدان
خمسةٌ وثلاثون فَرْتَ
كم صبحاً سيَعْلَقُ بأصابعي
ويذوبُ في نهنهة النَّحت .

سنعود للنقطة نفسها
ربما يتحتم علينا أن نقصقص..
أجنحةَ الهواءِ
أو نستبدلَ الشراعَ
أو نظلَّ إصبعينِ..
في رعشة الحجر.

تأبّطَ لهفتها
سخرَ من مكاتبِ البريد
وصرافي العُملةَ
وبعضِ الأصدقاء
ولوحةِ العشاءِ الأخير.

لم يجدوه عند أطراف البحيرةِ
وأزقّةِ القلعةِ
أو عند سفح الكنيسةَ
أو تعريشةِ اللبلاب.

امرأةٌ وحيدةٌ
لم تستطع الكلامَ..
أشارتْ الى وشمٍ في ساقيها
كان السَّهم يومضُ بخفّةٍ
وهو يلقي موعظتَهُ الأخيرةَ..

دوائرُ.. تتسعُ وتضيقُ..
زنابقُ تتلاشى كلَّما فاحَ رحيقُهَا
عذراواتٌ يهطلنَ من شُرف النعناعِ
ويتمرغنَ في نداوة الجمر.

أصواتٌ تتقطَعُ، تتكسَّرُ..
تغمغمُ في معصم النَّبع.

سيِّدي: هل أنت الطفل الذي..
هل هي لصَّةُ الموسيقى؟!

تلفَّتَ حولَهُ:
لم يجدْ سوقاً
لم يجدْ بحراً

ومن يومها وهو يكتبُ:
... ...
... ...
ويختفي
جمال القصاص!

هذا ما حدث لكولمبس العجوز

أنا لم أشاهدْ روميو وجوليت
ولا أعرفُ كيف وقَعَ شكسبيرُ في الحب
ولم يكن هذا هو الدورَ المناسبَ
لشاب مثلي على خشبة الخمسين
ولا أظنُّ أنني سوف أعقدُ مقارنةً
بين أطراف حياتي
لأكتشف محبَّةَ البازلاء.

كل ما أذكرهُ:
رأسُ دبوسٍ
وقبضةُ صلصالٍ
وملعقةٌ تتجوَّلُ
في فمي.

- خُذْ نفساً عميقاً
أيها الرجلُ الطيب
وأنا.. أجري
الغابةُ صامتةٌ
الحيواناتُ مجمدةٌ
فوق لوحة الأفق
حصانٌ خشبيٌ
اقتفى أثري
وانتحرَ في نهاية الممر.

بعد ذلك بأربعة عشرَ كوكباً
رجَّني الصوتُ
نزعتُ الملعقة من فمي
واستيقظتُ..
قالوا: انتظر.. هنا
انتظرتُ
قالوا: ابتسم وأنتَ تطاردُ الذِّئبَ
ابتسمتُ
ولم يكنْ هذا هو الدورَ المناسب أيضاً.

لماذا فعلتُ كلَ هذه الأشياء
ولماذا ازدادُ إلتصاقاً بك
لماذا وردةٌ وحيدةٌ تشعلُ البستان !

سأؤجلُ اعترافي قليلاَ
ربما ينضبطُ الكوبُ في منتصف المائدة
أو يفورُ في نزقِ الحافة
أو يتهشمُ في لوثة الفرشاة .

ما الذي حدَث
لم يكن في بالي أن تطيرَ الوسادةُ
ونظلَّ . . هكذا
نفتِشُ عن نجمةٍ ميِّتةٍ في الدولاب
ونرتجفُ مثلَ عصفورٍ
حين نلمسُ سطحَ الرَّخام
أو نتذكرُ : أننا مرةً ابتسمنا
مرةً . . حلمنا
مرةً . . صرخنا :
كُنْ لنا ذراعاً أيها البحر .

وصلتُ متأخراً
ونسيتُ تلويحةَ الوداع
كان الوقتُ صباحاً
على عجلٍ..
بائعةُ الوردِ رتَّبت هندامَها
من جديد..
يجرِّبُ الإسكافيُّ الكهلُ لُعبةَ الحظ
شيءٌ ما سقطَ من قلبي
واختفى.

العرباتُ في لهاثها المعتاد
وقدمك تتأرجحُ فوق كتفِ الخَيَّام
تبادلتما حديثاً قصيراً
واحتفظتما بيدينِ فارغتينِ
وقُبلةٍ لم يرتغِ عشبُهَا

قلتُ: أنتظرُ صباحاً آخر
ستنبَتُ الأزهارُ في المثلث الرخو

وكالعادة..
لم تَعُدْ للسماء زرقتُهَا
لم تنْحَلْ أشرطةُ السَّتان.

- قَلَتْ حاجتُنَا للكلام
هل ستدعوني الى السينما
كلِّمني بعدَ منتصف الليل
في الصباح.
أتركْ صوتكَ في ماكينة الرسائل
ستوقظني الرائحةُ
وأنسكبُ كالحليبِ فوق الفِراش.

أنا ضلعك الأعوجُ
غدا حين أسافرُ
مَنْ سيرعى شجيرة النشوة
أو يقتفي بداهةَ الأعماق.

أريدكَ كُلَّك..
تعبتُ من عاطفةٍ -كلَّ يوم- تحدِّدُ
لونَ شفتَيّ في المرآة
تعبتُ من ظلِّي الشفاهيِّ
من عَطانة الأوراق.

سأكتبُ روايةَ بوليسية:

سحابةُ هواءٍ بدَدتْ غفوة الشَرفة
كقطٍ منزليَ أليف
استيقظ الرجلُ عارياً وخفيفا
بتوجسٍ سحبَ قدميه فوق الدَرجِ
ودفع الباب..
كانت الفتاةُ نائمةَ في حوض الورد
طوَقها بذراعيه
وامتصَ الرحيق.
سوائلُ غامضةٌ..
انزلقتْ من أناملِ الشمعدان
بالوناتٌ حمراءُ صفراءُ
طارتْ في فضاء الغرفة
فجأةً.. انقطعَ الصوتُ
الفتاةُ اختفتْ
والرجلُ يغطسُ في حوض الدم.

منْ لملمَ الصَراخ..
جرِّبْ أن تحاكمَ حلماً
أن تمتلكَ حاسةً لاتشعرُ بها
أن تقشِّر برتقالةً بسكينِ الخَيال!

هل كان ضرروياً أن تكونَ العاشرةَ تماماً
وهل الأمرُ أبعدُ من ذلك الحَد؟!
لم يكنْ في يدي سوى عود كبريت
سيجارتكَ المنطفئةُ
تستوجبُ الشُكر
جميلٌ أن تكفَّ عن حبِّها
وتبادلها اللعنات
سألتكَ: لماذا تخاصمُ هذا اللون
سَرَحْتَ فوق أرصفة الحنين
وارتديتَ قبعةَ الملاك.

سنعقدُ صلحاً مؤقتاً
نباتاتُ الكرتون تحفُّ بالطاولة
ثورٌ نحاسيٌ يرفعُ عقيرتَهُ أعلى الزهرية
الشتاءُ يجرجُر أذيالَهُ
مزداناً بأسمالٍ لا لونَ لها .

باغتَني : عظامك ليِّنةٌ
هل اندلقَ الكوبُ على المريَلة
أم انطفأ المصباحُ السحريُّ
ونامَ الماردُ في كعكةِ الجُبن ؟ !

ربما . . خطأٌ غير مقصودٍ
في تعرجات الطقسَ .
أو أن بالونةَ الكلسم
لم تتجاوزْ لدائنَ السَّقف
أمي . . أَرْجَعَتْ الأمرَ كلَّهُ
الى بياض الموسيقى .

سأذهبُ الى العراف
تميمتي لم تعُد تشبهني
ورودٌ زرقاءُ تتسلَق كتفيَ
كلَما تلعثمَ الخيط.

سأستعيرُ منكَ كلمتين
لكنني أخشى أن يخطفني الموجُ
ينثرني في صحراءَ لا أعرف..
كيف تَغْرُبُ شمسُهَا.

– برُدَتْ قهوتك
سنمرُّ على المتحف
يمكننا أن نتناولَ الشَّطائرَ
أن نتخفَّف من حدَّة العاصفة..

سنكون عاديين جداً
ونحنُ نعانقُ التمثالَ
نجرِّدهُ من زَبَد الأبنوسِ
أو نجدعُ أنفهُ بقُبلةٍ طائشةٍ
أو ندسُّ في يديهِ بُرادةَ النقود.

سنختفي
خلف كومةِ الأشجارِ
لن يرانا أحدٌ
ونحن نُخْرِجُ السَّمكةَ
سنظلُّ هادئين
وندَّعي أنَّ الغصنَ وحدَهُ
هو الذي مَال.

السماءُ صافيةٌ
ليديك ندهةٌ مميزةٌ
لا أريدُ شيئاً آخر
أنتَ تدلِّعني مثلَ طفلة
سأكتفي بالعصير
ماذا سنفعلُ غداً
سأضمُّك بين ذراعيَّ
وأغمضُ عينيَّ لخمسِ ثوانٍ فقط.

وجهكِ مضطربٌ
هل نجلسُ.. نحتسي شيئاً
لا أعرفُ..
منذ يومينِ
يسيطرُ عليَّ مشهدُ النهايةِ في الفيلم
حين أذهب للنوم
أشعر أنني أرتدي القناعَ نفسَهُ
أن الطائرَ الخرافيَّ يئنُّ تحت السَّرير.
على فكرة..
رؤيتكَ للمظاهرات الأخيرةِ
صائبةٌ الى حدٍّ كبير.
أدركتُ ذلكَ وأنا أركبُ المترو
وأنا أنظرُ في وجوه الناس
هل مات عبد الناصر مسموماً
كلُّ شيءٍ واردٌ في هذا الزمان!؟

فِي أي اتجاهٍ ستأخذنا اعتباطيةُ النَص
الخَيَامُ فضَ مجلسَهُ
وفراشةُ النَيل ذابت في الكوب
لاتندهشي
سيسألونكَ عن لون العينينِ
والشفتين، ومسقط الرأس
وقفازِ النعناع.
تلك شروطُ المحبَة..
وربما تحتاجينَ لشاهد عَدْلٍ
لايجيدُ لغةَ الإشارة..
ولكي يكتملَ السِّياقُ
لابدَّ أن تزكيكَ الأرنبةُ
وبائعُ الفيشار، ولصُّ الموسيقى
وطائرٌ لا أذكرُ اسمه.

في اتحاد الكتاب
تغيَّرَ طعمُ الهواءِ
أحصينا أصابعنا مرتينِ
قطفنا زهرتينِ من رامبو
وحشونا البطاقة .

النَّخلة عاليةٌ
قَرَصَتْني في يديَّ
وشَبَّتْ في الإصيص
خلف نظارتها شمسٌ مرهقةٌ
ومسحةٌ من حلمٍ يودُّ لو يطير .

تأخَّرنا على بيكاسو
هل سنمرقُ على بائع العاديات
قُرْطكِ الذهبيُّ يذكِّرني
بوشوشة البحر.
لَمتْ ضفيرةَ شعرها
وابتسَمَتْ
سنعودُ من هذه النقطة نفسها
سأكون أنا الفتاةُ الصغيرةُ
التي ضيَّعتْ صندلهَا في الغابة
لن أتركك كثيراً عند الأرملة الطروبِ..
سأنزعُ الملعقةَ من فمكَ
وأغازلكَ بمكعبِ السُّكر.

مرَّةً تخيَّلتُ يمامةً..
تخرجُ من هذا الدَّرج
ترسمُ في غبار قدميها
أشجاراً لا تتسوَّل النَّسيمَ
طفولةً لاتُلقي معطفها
فوق مدخنة الخريف.

مرَّةً.. تخيَّلتُ..
انتظرْ
انتظرْ.. أيها الرَّجلُ الطيب
الفراغُ ليس منضبطاً تماماً
من هذه الزاوية..
سيمرُّ كولمبسُ العجوز
تفوحُ من جسدهِ رائحةُ سَفرٍ طويل
ستدَّعى أنكما تقابلتما مراراً
وسوف تنتحلُ الأعذارَ
عن مأتمِ الشموعِ

تذكَّرْ.. الملعقةُ في فمكَ
يدكَ وحدَها ليستْ مصدرَ الإيقاعِ
انتَحبْ.. أحياناً.
من باب الفضول
كأنَّكَ تهدهدُ طفلاً
كأنَكَ تلمسُ ثدياً للمرة الأولى
هل تعرفُ كيف وقعَ شكسبيرُ
في الحب؟!

نزعتُ الملعقةَ من فمها
وابتسمتُ..
ولم يكنْ هذا هو الدورَ المناسبَ أيضاً..

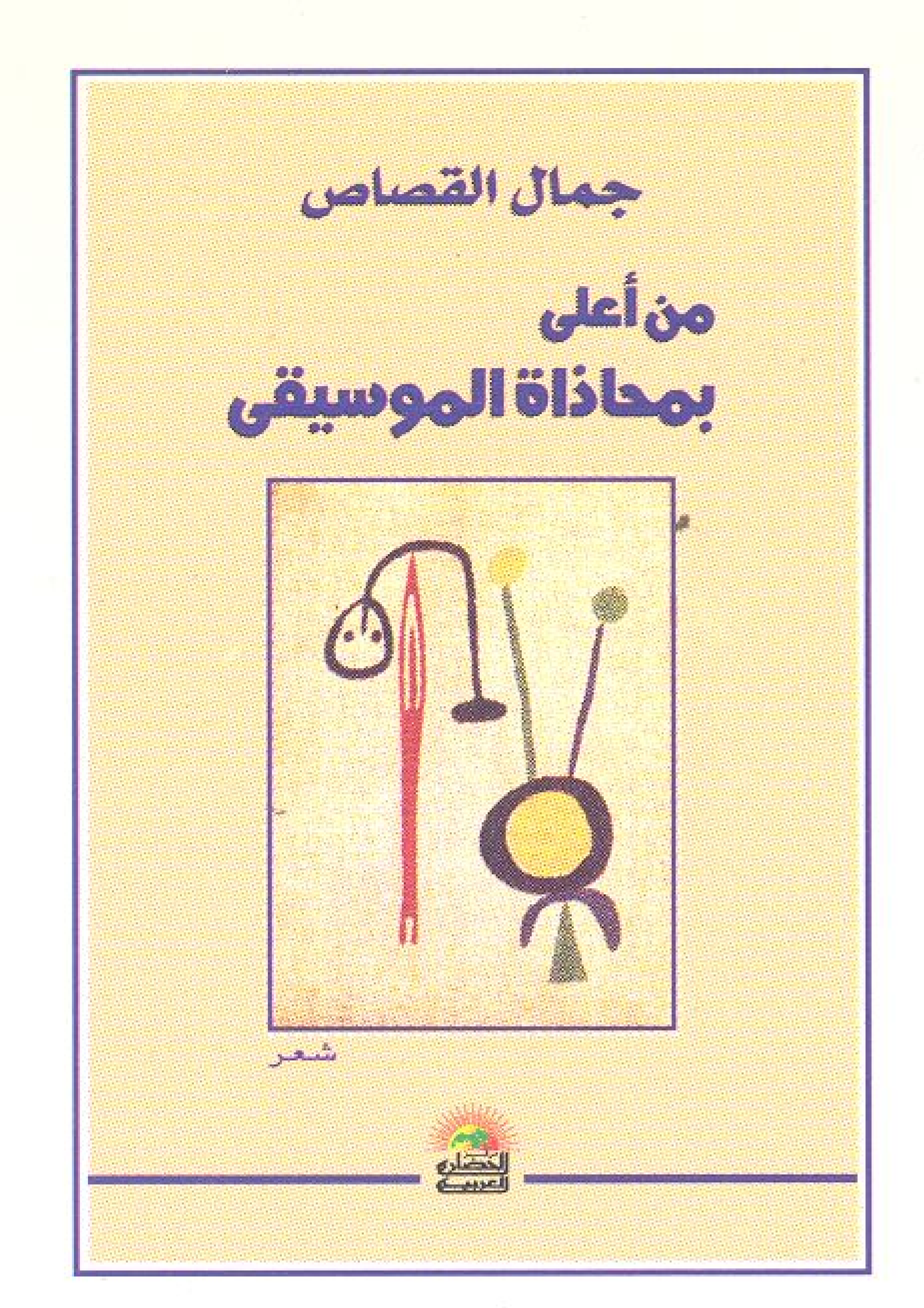
من قائمة الإصدارات

شعر

العنوان	المؤلف	العنوان	المؤلف
أنشودة للبكاء	إبراهيم أبو [illegible]	راتب الألفة	علوان مهدي الجيلاني
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زول[illegible]	على المواجع	على السويدى
سبع سحابات (دانتيلا السما[illegible]	[illegible]	[illegible] خيمة الليل	على فريد
قصائد حب من العرا[illegible]	[illegible] الطاهري	نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
مختارات	جليلة رضا	عطر النغم الأخضر	عمر غراب
رعشة كأس	جمال إسماعيل مدكور	سراب القمر	فاروق خلف
من أعلى بمحاذاة الموسيقى	جمال القصاص	إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
لا تدعنى أرتحل	حنان عبد القادر	أحوال الفتي الطائر	فاروق خلف
بدلاً من الصمت	درويش الأسيوطى	بيت يمر بالبرارى	فاروق خلف
من فصول الزمن الردىء	درويش الأسيوطى	العالم يستبدل ثيابه	فرج أبو شينة
تماما إلى جوار جثة يوتسكو	رشيد الغمرى	أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوى
كأنها نهاية الأرض	رفعت سلام	لسَه الأغانى ممكنة	كوثر مصطفى
يوميات غجرية عاشقة	ريتا عودة	اذهب قبل أن أبكى	د . لطيفة صالح
تصبح علي خير	سعدني السلاموني	آية المستريب	مجدى أبو زيد
أن اغربي لداخلى	سلمان الشعشاع	الغربة والعشق	مجدى رياض
الألوان ترتعد بشراهة	شريف الشافعي	مشاعر همجية	محسن عامر
صلاة المودع	صبرى السيد	ديوان بدران	د. محمد أبو الفضل بدران
دنيا تنادينا	طارق الزياد	ونس	محمد الحسينى
تلف	ظبية خميس	غربة الصبح	محمد الفارس
البحر . النجوم . العشب في كف واحدة	ظبية خميس	حبيبتى والخيل الصغيرة	محمد صلاح الدين
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافى	ليالي العنقاء	محمد محسن
يوم مات زهر الليمون	عبد الله أبو حسين	لو أنك يا حب تجيء	ناجى عبد اللطيف
أسفل المر	عبد الله عرايس	العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
حواديت لفتدى	عصام خميس	هذه الروح لى	نادر ناشد
سيرة الماء	د . علاء عبد الهادى	أجمل الآلهات تبكى (نصوص)	نداء خورى
أوراد عاهرة تصطفينى	د . علاء عبد الهادى	الأمل وأحلام النورس	ياسين الفيل

بالإضافة إلى العديد من الكتب الأدبية ؛ رواية .. قصة .. دراسات ونقد
وكتب متنوعة : سياسية ، قومية ، دينية ، معارف عامة ، تراث ، وأطفال .
خدمات إعلامية وثقافية

الآراء الواردة في الإصدارات لا تعبر بالضرورة عن آراء يتبناها المركز


جمال القصاص
من أعلى
بمحاذاة الموسيقى
شعر

